معهد الجزيرة للإعلام
زمالة الجزيرة - 2022
ورقة بحثية

معهد
الجزيرة للإعلام

الممارسات الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية في تونس ما بعد الثورة (2011-2020)

حمادي الأسود

مشرف البحث:
د. محمد الراجي

جميع الحقوق محفوظة @معهد الجزيرة للإعلام 2022

برنامج زمالة الجزيرة:

برنامج أطلقه معهد الجزيرة للإعلام، ويهدف إلى تشجيع البحث الأكاديمي، وإتاحة الفرصة أمام الصحفيين والباحثين للاطلاع على تجارب عملية ودراستها بعمق، بشكل يسهم، مع جهود مؤسسات عربية وعالمية عديدة، في تحسين مهنة الصحافة والعبور بها إلى المستقبل.

حمادي الأسود

حمادي الأسود، صحفي ومخرج أفلام وثائقية تونسي، حاصل على درجة الماجستير في الصحافة وطالب ماجستير بحث في علم الاجتماع.

ملخص البحث

سعت الدراسة إلى تحليل الممارسات الصحفية لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية، في تونس بعد ثورة يناير/ كانون الثاني 2011، حيث أصبح وجود الباحثين في العلوم الاجتماعية ملموسًا في وسائل الإعلام المختلفة، ورقية وإلكترونية وسمعية بصرية. كما حاولت فهم دوافع هذه الممارسات الصحفية، وطبيعتها واستراتيجياتها، وبحثت فرص وسبل تطويرها.

ولإنجاز ذلك، استقصت الدراسة تجارب عدد من الباحثين في العلوم الاجتماعية، من اختصاصات ومستويات مختلفة، ورصدت ممارستهم للصحافة عبر منابر ووضعيات مختلفة، واستعملت في ذلك منهج دراسة الحالة، معتمدة على تقنيات المقابلة الموجهة مع عينة قصدية، للوقوف على أهم خصائص تجربتهم والخروج باستنتاجات تحيط بأبعاد الظاهرة وتحاول فهمها وتفسيرها.

وخلصت الدراسة إلى أن الباحثين في العلوم الاجتماعية، على اختلاف تجاربهم، يتشاركون في نقاط عديدة في ممارستهم للصحافة؛ إذ يدفعهم شعورهم بإلزامية التفاعل مع القضايا الراهنة والمستجدة إلى تناولها بالتحليل والاستقصاء، وخاصة مشاركتهم في النقاش العام عبر الإنتاج الصحفي، وهو أمر لا تمكنهم منه الكتابة الأكاديمية. وينتهجون في ذلك استراتيجية تقوم على البحث والتحليل استنادًا إلى نظريات وقوالب أكاديمية، والبحث في المراجع والمصادر، وصولًا إلى منتج صحفي يوازن بين البحث العلمي الأكاديمي والكتابة الصحفية وقواعدها. كما خلصت الدراسة إلى وجود علاقة وطيدة بين العلوم الاجتماعية والصحافة يجب العمل على تطويرها.

كلمات مفتاحية:
الممارسات الصحفية، الباحثون في العلوم الاجتماعية، الصحافة، الشأن العام، الرأي العام.

الفهرس

المقدمة 7

الإطار المنهجي للدراسة 9

نتائج الدراسة التطبيقية 14

الخاتمة والنقاش 22

المصادر والمراجع 23

المقدمة

تطور حجم مساهمات الباحثين في العلوم الاجتماعية في وسائل الإعلام بشكل ملحوظ خلال العقد المنصرم في تونس. ولا تُعد هذه الظاهرة جديدة؛ إذ لطالما لجأت وسائل الإعلام إلى الباحثين في العلوم الاجتماعية لاستطلاع آرائهم العلمية بشأن الظواهر التي يشتغلون عليها. وكان يطغى على هذه المساهمات، قبل ثورة يناير/كانون الثاني 2011، البعد السياسي في ظل مشهد إعلامي تحكمه قبضة نظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي (1987w-2011) في مجمله، عدا بعض جرائد أحزاب المعارضة. وكان هناك خياران اثنان أمام الباحثين في العلوم الاجتماعية الراغبين في ممارسة الصحافة، إما أن يكونوا موالين للنظام ويحاولوا تبييضه من خلال خطاب شبه علمي، ويكون هذا الحضور من نصيب الباحثين الموالين له أو آخرين لا يملكون موقفًا معارضًا له، وإما الانتماء إلى أحد أحزاب المعارضة وكتابة مقالات في جرائدها، ولئن كان ما يكتبونه يحتوي على قراءة وتحليل علمي للواقع، فهو يبقى سياسيًّا بامتياز، على اعتبار أن المحمل هو محمل سياسي يعبِّر عن مواقف سياسية أساسًا، وليس إعلاميًّا صرفًا.

هذا علاوة على الضغوط التي يمكن أن يتعرض لها الباحث بسبب مقالته، حتى وإن نشرت في صحف ومدونات أجنبية، ما يدفعهم إلى تجنب المساهمات الصحفية في وسائل الإعلام أو أحيانا ممارسة الرقابة الذاتية على نصوصهم. ونتحدث هنا عن حقلين هما: الحقل الإعلامي، وحقل البحث العلمي الأكاديمي، وتحديدًا في العلوم الاجتماعية، اللذين كانا تحت وطأة القمع والرقابة المستمرة، ما يجعل هامش التحرك الحر، داخلهما وفي المنطقة المشتركة بينهما، ضئيلًا جدًّا.

غيَّرت ثورة يناير 2011 المشهد كليًّا، وأساسًا في ثلاثة جوانب مهمة: أولًا خلق مجال واسع من الحرية، وخاصة حرية التعبير، وانطلق ذلك بتنظيم حرية الإعلام مع إصدار المرسوم 115 لسنة 2011، في 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2011، والمتعلق بحرية الصحافة والطباعة والنشر، الذي يضمن حرية الصحافة وينظِّمها، قبل إقرار دستور 2014، الذي ينص في الفصل 31 من بابه الثاني على أن "حرية الرأي والفكر والتعبير والإعلام والنشر مضمونة. لا يجوز ممارسة رقابة مسبقة على هذه الحريات". وفي الفصل 33 من نفس الباب، ينص على أن "الحريات الأكاديمية وحرية البحث العلمي مضمونة. وتوفر الدولة الإمكانيات اللازمة لتطوير البحث العلمي والتكنولوجي". إذًا، على مستوى التشريعات، أصبح الصحفي والباحث في العلوم الاجتماعية يتمتعان بحرية التعبير والكتابة والنشر.

ثانيًا: أسهم مناخُ الحرية ما بعد ثورة 2011 في ارتفاع عدد وسائل الإعلام، حيث بلغ عدد القنوات التلفزيونية إلى 11 قناة عام 2022 (3 قنوات عمومية و8 قنوات خاصة)، بينما لم يكن العدد يتجاوز 4 قنوات قبل الثورة. كما بلغ عدد المحطات الإذاعية 52 بعد الثورة، (منها 10 محطات إذاعية عمومية و20 محطة خاصة، ومحطتان جمعيتان)، حسب الهيئة العليا للإعلام السمعي البصري، وحوالي 267 صحيفة ومجلة وإلكترونية. هذا إضافة إلى وسائل الإعلام الأجنبية التي أصبحت تهتم بما يحدث في تونس، وفتحت لها مكاتب في البلاد.

وقد أدى هذا الارتفاع في عدد وسائل الإعلام إلى تطورين جوهريين؛ الأول زيادة التنافس بين هذه الوسائل، حيث صارت كل واحدة تسعى إلى تقديم مادة إعلامية أكثر ثراء للمتلقي، وستكون المادة التي يقدِّمها الباحثون في العلوم الاجتماعية إحدى أعمدة هذا التنافس؛ إذ تتسابق وسائل الإعلام للوصول إلى الباحثين والظفر بكتاباتهم ومداخلاتهم. ومن جانب آخر، برز تنوع الوسائط الإعلامية أمام الباحثين في العلوم الاجتماعية للمساهمة في النقاش العام ونشر كتاباتهم والحديث في وسائل الإعلام السمعية البصرية. ثالثًا: كانت ثورة 2011 ظاهرة مركبة ومعقدة؛ يتداخل فيها السياسي والاجتماعي والثقافي والتاريخي.. إلخ.

وأثارت العديد من الظواهر الاجتماعية المركبة (التحركات الاجتماعية، والانتخابات، وكتابة الدستور...)، علاوة على الظواهر التي لم تكن مكشوفة خلال فترة نظام بن علي (الفقر، الهجرة غير النظامية، التفاوت بين الجهات...). وشكّلت هذه الظواهر مادة إعلامية وبحثية للصحفي وللباحث في العلوم الاجتماعية على حد السواء؛ إذ يبحث الصحفي في تفسيرها ونشرها، لكن تعترضه صعوبة في تحليلها، أما الباحث في العلوم الاجتماعية فيبحث في فهمها وتفسيرها، لكنه يجد صعوبة في نشر إنتاجاته.

من هذا المنظور، فإن انفجار الظواهر الاجتماعية يدفع الباحثين في العلوم الاجتماعية إلى البحث عن منصات خارج أسوار الجامعة، بينما يبحث الصحفي عن الباحث لتقديم قراءة علمية في الموضوع، ما يشكّل مناسبة للطرفين لخلق علاقة بينهما.

إذًا، دفع مناخ الحريات السياسية -وحرية الكتابة والنشر والتعبير عن الرأي وحرية البحث والعمل الأكاديمي، والارتفاع الملحوظ في عدد وسائل الإعلام، سواء كانت ورقية أو إلكترونية أو سمعية بصرية، إضافة إلى كشف الثورة عن ظواهر اجتماعية عديدة- الباحثين في العلوم الاجتماعية إلى دخول مضمار الممارسة الصحفية. وكان ذلك عبر جهد بحثي من قِبَل الصحفيين لإثراء المواد التي يشتغلون عليها، أو من الباحثين في العلوم الاجتماعية أنفسهم لإيجاد منصة أو محمل ينشرون من خلاله منتجاتهم الصحفية بعيدًا عن أسوار الجامعة والعمل الأكاديمي.

فصار لبعضهم حضور شبه دوري في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، مثل حضور أستاذ علم الاجتماع، صلاح الدين بن فرج، في برنامج "حكايات تونسية" الذي كان يبث على قناة الحوار التونسي، وهو برنامج اجتماعي.

وأستاذ علم الاجتماع، سنيم رحال، الذي يُعد ضيفًا قارًّا في برنامج "فوروم" (Forum) إضافة إلى المساهمات الدورية في الصحف الورقية والإلكترونية، مثل مساهمة أستاذ علم الاجتماع، محمد الجويلي، في صحيفة "المغرب"، حيث يكتب مقالًا أسبوعيًّا، وأستاذ علم الاجتماع، مهدي مبروك، الذي يسهم بمقال أسبوعي في موقع "العربي الجديد".

ويشير هذا المشهد إلى أن ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة بأشكال مختلفة في تونس، ليست حالة فردية ومعزولة لباحث أو اثنين من الباحثين في العلوم الاجتماعية، بل ممارسة تطورت بشكل ملحوظ منذ عام 2011، وأصبحت تمارس بشكل دوري من قِبَل بعض الباحثين الاجتماعيين، فيما يمتهن باحثون آخرون مهنة الصحافة.

إذًا، نحن أمام ظاهرة ما فتئت تتطور كميًّا، من حيث عدد المشاركين المرتبطين بها وإنتاجاتهم، وكيفيًّا، من حيث القيمة المضافة لهذه الإنتاجات. ولا يقتصر تأثير هذه الظاهرة على المنتوج الإعلامي فقط، بل يشمل الحقل الأكاديمي والحقل الإعلامي في آن. وقد لاحظ الباحث أن هناك تغييرًا في بنية الحقل الإعلامي بعد دخول فاعلين جدد، وهم الباحثون في العلوم الاجتماعية بمسميات مختلفة؛ إذ أصبحت الممارسة الصحفية "عادة" عند هؤلاء الباحثين الذين قاموا بإخراج جديد للمنتوج الأكاديمي. وهنا، نرى أن تأثير الظاهرة عابر للحقلين، وهو ما دفع الباحث إلى محاولة فهمها وتحليلها.

1. الإطار المنهجي للدراسة

1.1 إشكالية البحث وتساؤلاته

يمارس الباحثون في العلوم الاجتماعية، في تونس ما بعد 2011، نشاطهم الصحفي في ظل مشهد سياسي واجتماعي يتحرك بديناميات سريعة؛ حيث تولد ظاهرة اجتماعية جديدة وتتطور أخرى. كما يمارسون هذا النشاط في سياق مشهد إعلامي يتميز بالتغير المستمر، حيث تندثر وسائل إعلام وتنشأ أخرى، وتتغير ارتباطات بعضها بدوائر مالية وسياسية. وهو ما يضع الباحث في العلوم الاجتماعية المهتم بممارسة الصحافة أمام عدد من التحديات بشأن قدرته على التفاعل السريع مع الظواهر الاجتماعية وتفسيرها وتحليلها للقراء والجمهور، واختيار وسيلة الإعلام المناسبة للقيام بذلك. ويعتبر هذان التحديان هما موضوع البحث، ويمكن بلورتهما في هذا السؤال الإشكالي:

- كيف يمارس الباحثون في العلوم الاجتماعية الصحافة في تونس بعد ثورة 2011؟

وتقتضي الإجابة عن هذا السؤال الإشكالي، الاهتمام أيضًا بالأبعاد المرتبطة بالظاهرة، وتشمل الباحث في العلوم الاجتماعية، الصحفي، ورئيس التحرير، ونوعية وسيلة الإعلام (ورقية، إلكترونية، سمعية بصرية...). وتختلف التجربة حسب السياقات، وموقع الباحث في العلوم الاجتماعية في عملية الإنتاج الصحفي (يمتهن الصحافة، يكتب بصفة دورية...). لذلك فإن الاستراتيجيات التي يعتمدها الباحث في العلوم الاجتماعية أثناء ممارسته للصحافة، وعلاقته مع المحيط الإعلامي، لا يمكن فهمها إلا بالإجابة عن هذه الأسئلة الفرعية:

- ما دوافع الممارسة الصحفية المختلفة للباحثين في العلوم الاجتماعية بتونس (كتابة مقالات، مداخلات وتصريحات، حضور برامج تليفزيونية أو إذاعية...)؟
- ما الاستراتيجيات التي يتبعها الباحث في العلوم الاجتماعية في ممارسته الصحفية؟ وما الأبعاد التي يركز عليها؟
- كيف يوازن الباحث في العلوم الاجتماعية بين منهجية العمل الصحفي ومنهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية؟
- ما خصائص الخطاب الإعلامي الذي يقدِّمه الباحث في العلوم الاجتماعية؟
- كيف يمكن تقييم علاقة التأثير والتأثر بين الحقل الإعلامي وحقل البحث العلمي في العلوم الاجتماعية؟
-كيف يتعامل الباحث في العلوم الاجتماعية مع التغيرات المتسارعة في المشهد الإعلامي؟
- لماذا يبحث رؤساء تحرير بعض وسائل الإعلام عن الباحثين في العلوم الاجتماعية للمساهمة في المنتوج الإعلامي لمؤسساتهم؟
- هل يمكن بناء أسس علاقة واضحة ومنظمة بين الحقلين؟

2.1 فرضيات البحث

في سياق محاولة فهم وتفسير استراتيجيات المساهمة الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية بالحقل الصحفي، وإبراز مقدرة هؤلاء في الحفاظ على تحليلاتهم العلمية ومكانتهم العلمية، تحاول الدراسة استقصاء الفرضيات الآتية:

- المساهمة الصحفية لدى الباحث في العلوم الاجتماعية مهما كان نوعها (كتابة مقالات، حوارات، مداخلات في قنوات إذاعية وتليفزيونية...) تسبقها عدة التحضيرات، مثل الرؤية المنهجية، والبحث عن المصادر والمراجع، واختيار طريقة الكتابة والحديث (في حالة المداخلات السمعية البصرية) لتقديم صحافة مختلفة وذات جودة نوعية.
- يحاول الباحثون في العلوم الاجتماعية المحافظة على خصوصيات البحث العلمي، وعدم الانزلاق إلى إكراهات العمل الصحفي، مثل السرعة في التعليق على الأحداث، وتقديم إجابات سريعة وسطحية،

والانبهار بعالم الصحافة والسعي إلى التحوُّل إلى "خبير" لوسائل الإعلام بحسب رأي عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو (Pierre Bourdieu).

- تبحث وسائل الإعلام في تونس، سواء كانت محلية أو دولية، ورقية أو إلكترونية أو سمعية بصرية، عن مساهمات الباحثين في العلوم الاجتماعية، لما يقدِّمه ذلك من ثراء لمادتها الإعلامية.

3.1 أهمية البحث وأهدافه

تختلف ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للعمل الصحفي عن ممارسة الصحفيين لمهنتهم؛ إذ تعتمد هذه الفئة (الباحثون في العلوم الاجتماعية) منهجية مغايرة أقرب إلى منهجية البحث العلمي التي تمثِّل قيمة مضافة إلى عملهم. وتُعد هذه الدراسة الأولى التي تتناول بالبحث والاستقصاء ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة في تونس، ودوافع هذه الممارسة، وأشكالها واستراتيجياتها. ومن ثم، لن تكون مرجعًا للدراسات المستقبلية حول الموضوع فقط، بل كذلك فرصة لتطوير العلاقة بين الحقلين: الحقل الإعلامي وحقل البحث في العلوم الاجتماعية. لذلك تركز الدراسة على:

- رصد تجربة بعض وسائل الإعلام التونسية التي اختارت التعامل مع الباحثين في العلوم الاجتماعية، أي أن أغلبية العاملين فيها والمتعاونين معها لهم تكوين أكاديمي في أحد تخصصات العلوم الاجتماعية، ومحاولة فهم الدوافع وراء هذا التوجه.
- الكشف عن التداخل الحاصل بين الحقل الإعلامي وحقل البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، أي البحث في علاقة التأثير والتأثر بينهما.
- البحث عن إمكانية الوصول إلى وضع قواعد تُنظِّم العلاقة بين الحقلين وتطوّرها.

4.1 منهجية البحث

تحاول الدراسة استقصاء استراتيجيات الباحثين في العلوم الاجتماعية في ممارسة الصحافة، في سياق المسار الثوري بتونس بعد 2011، الذي يتميز بالتعقيد خاصة على المستوى السياسي والاجتماعي، وكذلك في إطار العلاقة بين الحقل الإعلامي والبحث الأكاديمي، وهما موضوع الدراسة بصفة مباشرة. لذلك اختار الباحث **منهج دراسة الحالة** الذي "يهتم بدراسة عينة صغيرة جدًّا من أفراد مجتمع الدراسة التي يصعب فيها على الباحث استخدام المناهج الأخرى كالمنهج التاريخي أو المسح الاجتماعي أو المنهج الإحصائي أو المقارن"[1].

ويساعد منهج دراسة الحالة أيضًا في فهم كيف تمارس هذه الظاهرة؟ ولماذا؟[2]، أي دراسة العلاقات السببية التي أدت إلى ظهورها وأثرت في تطورها للحصول على مجموعة من الاستنتاجات السياقية. فممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة تتداخل فيها عوامل مختلفة ومتغيرات متعددة، مثل غايات الباحث من هذه الممارسة، وكيفية ممارستها، والظواهر الاجتماعية والسياسية التي يتناولها بالبحث، والتغيرات الحاصلة في الحقل الإعلامي...إلخ.

وتسعى الدراسة إلى فهم هذه المتغيرات من خلال تجارب الباحثين (فئة الدراسة) والوصول إلى نتائج ذات صلة مباشرة بالموضوع من خلال وصف وتحليل الظاهرة[3] ودراستها في بيئتها الطبيعية والربط بين أسبابها وكيفية ممارستها في سياق محدد.

وتعتبر المقابلة أكثر الأدوات البحثية استخدامًا في دراسة الحالة لجمع البيانات. وهي تشكِّل محادثة موجهة تتم بين الباحث والمستجوَبين، وتعتمد على التبادل اللفظي وتهدف إلى الحصول على معلومات تتحدد كمًّا وكيفًا حسب خطة البحث. وفي المقابلة الموجهة تتمثَّل الوظيفة الأساسية للباحث في تركيز الاهتمام حول خبرة معينة صادفها الفرد، ونتائج هذه الخبرة. ولهذا فهو غالبًا ما يُعِدُّ قائمة بالموضوعات والجوانب المختلفة التي سوف تدور حولها الأسئلة[4]. وفي هذا الإطار، قام الباحث باستجواب وحدات مختلفة لها علاقة بالظاهرة عبر حقل استفهامي يمثِّل دليلاً للمقابلات مرتبطًا بإشكالية البحث وأبعاده، وهو يأخذ بعين الاعتبار موقع كل فئة من أفراد العينة من الظاهرة وتأثيرها وتأثرها بها إضافة إلى طبيعة الهدف من المقابلة.

---

[1] زالدين دخيل، المناهج وتقنيات البحث في علم الاجتماع، (مركز النشر الجامعي، تونس، 2009)، ص 24

[2] أنول باتشرجي، بحوث العلوم الاجتماعية المبادئ والمناهج والممارسات، ترجمة خالد بن ناصر الحيان، (دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2015)، ص 275.

[3] Gary King, Robert Keohane, Sidney Verba, Designing Social Inquiry: Scientific Inference in Qualitative Research (Princeton: Princeton University Press, 1994), 45.

[4] Ibid, 45. l

5.1 مجتمع البحث وعينته

يتشكّل المجتمع البحثي للدراسة من الباحثين في العلوم الاجتماعية الذين يمارسون الصحافة. وعليه، فإن عينة البحث تمثّلها مجموعة من الباحثين الذين لهم نشاط صحفي دوري ومستمر. وقد لجأ الباحث إلى القائمين على وسائل إعلامية عُرِفت بميلها إلى الباحثين في العلوم الاجتماعية للمساهمة في إنتاجاتها بطرق مختلفة، وشمل ذلك القنوات الإذاعية والتليفزيونية، ووسائل الإعلام الورقية والإلكترونية، وذلك من أجل رصد مختلف الممارسات الإعلامية للباحثين في العلوم الاجتماعية وفهم الظاهرة في كل جوانبها. لذلك اختار الباحث عينة محددة تتكوَّن من 7 باحثين صحفيين قسّمهم إلى 3 مجموعات:

- **المجموعة الأولى:** تتكوَّن من باحثين في العلوم الاجتماعية يمتهنون الصحافة، أي أن مصدر دخلهم الأساسي هو العمل الصحفي، ويشتغلون بشكل قار في وسائل الإعلام بعد أن أنهوا تكوينًا أكاديميًّا في أحد تخصصات العلوم الاجتماعية. وهم أساسًا أعضاء في هيئة تحرير وسائل إعلام ورقية.

- **المجموعة الثانية:** تتكوَّن من باحثين في العلوم الاجتماعية لهم مساهمات دورية في بعض وسائل الإعلام، وهم في الأغلب أساتذة التعليم العالي، ويقومون دوريًّا بإعداد بحوث ودراسات أكاديمية. وينقسم نشاطهم الصحفي إلى قسمين: إنتاج خاص في شكل مقالات رأي ومقالات تحليلية تنشر في صحف ورقية أو إلكترونية، تونسية أو دولية، ثم هناك مساهمات في إنتاجات صحفية: وعادة ما تكون للتعليق على أحداث وقضايا جارية، فيُطلب منهم إبداء رأيهم في شكل مقابلات. ويكون هذا النوع من المساهمة في وسائل الإعلام الورقية، والإلكترونية والسمعية البصرية.

- **المجموعة الثالثة:** تشمل القائمين على وسائل إعلام يغلب على إنتاجاتها مساهمات باحثين في العلوم الاجتماعية. وقد أجرى الباحث مقابلات مع رؤساء تحرير موقعين إلكترونيين أغلبية العاملين فيهما والمتعاونين معهما من الباحثين في العلوم الاجتماعية.

وهذان الموقعان هما "الكتيبة" و"المفكرة القانونية" الذي يصدر كذلك نسخة ورقية دورية.

حاول الباحث من خلال هذه العينة استكشاف مختلف الإسهامات الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية، الورقية منها والسمعية البصرية، والإسهامات القارة، والعاملين في هذا الحقل. وقد أجرى الباحث 5 مقابلات في تونس العاصمة، فيما أجرى مقابلة عبر الهاتف لأسباب خاصة.

6.1 الدراسات السابقة

لطالما كانت العلاقة بين حقل البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والحقل الصحفي مبحثًا مهمًّا ومثار تساؤل للعديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية. وقد رصد الباحث عددًا من الدراسات حول الموضوع إضافة إلى أوراق ومشاركات لعدد من الباحثين في العلوم الاجتماعية قُدِّمت في مؤتمرات علمية حول الموضوع. وتناقش هذه الأعمال العلاقة بين الصحافة والبحث العلمي في العلوم الاجتماعية، وبشكل أدق العلاقة بين الباحثين في العلوم الاجتماعية والممارسة الصحفية، وتأثيرها على الحقلين. وقد حصر الباحث بعض الدراسات التي تطرح موضوع الدراسة:

- عن التلفزيون ويليه تأثير الصحافة[5]:

يُعد هذا الكتاب من أهم الإصدارات حول الموضوع، ومرجعًا مهمًّا لكل الدراسات التي تتناول العلاقة بين الباحثين في العلوم الاجتماعية والحقل الإعلامي. ويشير عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو إلى مشكلات مشاركة الباحثين في علم الاجتماع في الإعلام عمومًا، وفي التلفزيون خصوصًا، ويرى أن التليفزيون يطرح مشكلة كبيرة تتعلق بالعلاقة بين السرعة والتفكير. فالظهور الإعلامي، خاصة في التليفزيون، يتطلب السرعة في التعامل مع الحدث أو الظاهرة والتعليق عليها، في حين لا توجد سرعة مع التفكير. لذلك يخلق التلفزيون نوعية من المفكرين تتماشى مع معاييره، وهم مفكرون يقومون بتقديم إجابات وتحليلات سريعة للظواهر الاجتماعية في وسائل الإعلام، وتعليقات سريعة على الأحداث. ويستبطن هؤلاء الباحثون منطق اشتغال الحقل الإعلامي، وبالخصوص التلفزيون

[5] - Pierre Bourdieu, Sur la télévision suivi de l'emprise du journalisme, (RAISONS D'AGIR Edition, 1996).

ليدخلوا تحت مظلة الرقابة الذاتية حتى لا يخرجوا عن قواعد العمل في البرامج التلفزيونية. ويسمى هؤلاء بـ"المفكرين السريعين" (Fast thinkers) أو "خبير". وهم ينتجون أفكارًا سطحية، عامة وغير علمية، حيث لا يمكّنهم التلفزيون من القيام بغير ذلك. وهنا، يصبح معيار مشاركة الباحثين في العلوم الاجتماعية في البرامج التلفزيونية ليس هو قيمة الباحث العلمية، بل مدى استجابته لمعايير الظهور الإعلامي. ويستنتج الباحث أن التلفزيون خطر على عملية البحث العلمي، خاصة البحث العلمي في العلوم الاجتماعية.

عالم الاجتماع في الحقل الإعلامي: تعميم وتشويه[6]:

يتناول المؤلفون علاقة علم الاجتماع بالحقل الإعلامي كما رصدها بيير بورديو في كتابه المذكور آنفًا. فقد أعادوا الحديث عن المشكلات المتعلقة بالظهور الإعلامي لعلماء الاجتماع، خاصة فيما يتعلق ببحث وسائل الإعلام عن المفكرين السريعين، ورضوخ بعض علماء الاجتماع إلى ضوابط وقواعد عمل وسائل الإعلام وطريقة عمل الصحافيين؛ إذ يصبح الاعتراف بعالم الاجتماع غير مرتبط بإصداراته وبحوثه الأكاديمية بل بالظهور الإعلامي.

ورغم ذلك ترى الدراسة أن التقارب بين علم الاجتماع والحقل الإعلامي ضروري، فعالم الاجتماع في حاجة إلى نشر بحوثه للرأي العام والمساهمة في النقاش العام بأفكاره وبإنتاجاته البحثية. لذلك يمكن تبسيط علم الاجتماع من خلال مشاركة علمائه في المشهد الإعلامي، وإيجاد وسائل لتحسين ظهورهم ومشاركتهم عبر تعليمهم قواعد عمل وسائل الإعلام من أجل تقديم مساهمة صحفية أكثر ثراء، وتمكينهم من تقديم آرائهم وقراءتها في وقت قصير وبطريقة واضحة ومفهومة.

مقدمة: الإعلام والعلوم الإنسانية والاجتماعية: التعاون، الانتشار، الصيغ الجديدة[7]:

ترى الدراسة أن هناك تقاربًا كبيرًا بين الحقل الإعلامي وحقل البحث في العلوم الاجتماعية. فالصحافة المحترفة تُعد الأقرب إلى البحث في العلوم الاجتماعية من خلال عملها الميداني وفي هدف وصف النظام الاجتماعية لإنتاج خطاب حول العالم الاجتماعي. وعلى الرغم من أن حقل الإعلام والعلوم الاجتماعية هما عالمان مختلفان ولكل منهما مقوماته وطرق اشتغاله الداخلية، فلا أحد منهما ينكر الآخر، وهو ما يعني وجود علاقة بينهما بشكل من الأشكال. وتلاحظ الدراسة أن هناك عددًا من العوائق في العلاقة بين الحقلين، منها مسألة الوقت أو المساحات الزمنية التي تمنح للباحث في العلوم الاجتماعية في وسائل الإعلام، والتي عادة لا تكون كافية لتقديم رأي علمي متكامل لتحليل ظاهرة اجتماعية معينة أو حدث... إلخ. لكن رغم هذه التحديات والعوائق، تدعو الدراسة إلى الحفاظ على العلاقة بين حقل الإعلام والعلوم الاجتماعية لإنتاج خطاب حول العالم الاجتماعي.

الصحافة والعلوم الاجتماعية: اضطراب أم مشكلة؟[8]:

تعتبر الدراسة أن هناك تقاربًا كبيرًا بين ممارسة العلوم الاجتماعية والصحافة، خاصة على مستوى العمل الميداني، مثل: الاشتراك في تقنية المقابلة، والتحقق، وفي عدد من المبادئ تجاه العالم الاجتماعي. ورغم هذا التقارب، ترى الدراسة أن هناك منظورًا نقديًّا من قبل علماء الاجتماع في فرنسا تجاه الصحافة، وانطلق ذلك من مؤسس علم الاجتماع في فرنسا إميل دوركايم (Emile Durkheim)، الذي لم يذكر الصحافة إلا قليلًا في أعماله، وعالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، الذي لم يعر اهتمامًا للحقل الصحفي في البداية ثم تناوله بالنقد. وبحسب الدراسة، فإن تاريخ العلاقات بين الحقلين في فرنسا موصوم بالتجاهل المتبادل، وإن عملية نقد الصحافة والإعلام تسيطر على علم الاجتماع في فرنسا. ورغم أن هناك علماء اجتماع يعتبرون أن الحدود بين المجالين متباعدة، فإن ثمة علماء آخرين يرون أن هناك تواصلًا بينهما وانفتاحًا، والتجارب في ذلك عديدة. وتدافع الدراسة عن ضرورة التقارب بين الحقلين وتطوير العلاقات بينهما، حيث تعتبر أن إنجاز عمل مشترك بين الصحفي وعالم الاجتماع يكون أفضل من إنجاز عمل مشترك بين صحفيين اثنين، أو بين عالمي اجتماع.

[6] Cyril Lemieux, Laurent Mucchielli, Erik Neveu. Le sociologue dans le champ médiatique : diffuser et déformer?. Sociologie, Presses Universitaires de France, 2010, 2 (1), pp.287-299.
[7] Samuel Hayat et Anton Perdoncin, «Introduction. Médias et sciences humaines et sociales : collaborations, diffusions, nouveaux formats», Tracés. Revue de Sciences humaines [En ligne], #12 | 2012, mis en ligne le 29 octobre 2012, consulté le 09 avril 2022. URL: http://journals.openedition.org/traces/5526 ; DOI : https://doi.org/10.4000/traces.5526
[8] Gilles Bastin - Le journalisme et les sciences sociales. Trouble ou problème ?, Sur le journalisme - Vol 5, n°2 - 2016

- في تقاطعات الصحافة وتاريخ الزمن الراهن[9]:

نحو مقاربة تأويلية جديدة : تتناول الدراسة العلاقة بين التاريخ والصحافة. وترى أن هناك تقاربًا كبيرًا بين الحقلين، خاصة بين الصحافة وتاريخ الزمن الراهن، وتعتبر الصحافة منذ أمد طويل مصدرًا مهمًّا للتأريخ، لا سيما تاريخ الزمن الراهن، فهي سجل يومي لتطور ديناميكية المجتمعات بحكم متابعتها لمختلف الأحداث، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية.

ورغم وجود عدد من المؤرخين الذين يعتبرون أنه لا يمكن للصحافة أن تكتب التاريخ، فإن الدراسة تثبت أن هذا الرأي قد لاقى نقدًا لاذعًا، وأن التوجه الآن هو نحو اعتبار أن العلاقة قوية جدًّا بين الحقلين مع مراعاة أن كل حقل مستقل عن الآخر. وهذا التقارب دفع بعدد من المؤرخين إلى خوض تجربة الكتابة الصحفية، وذهب بعض الصحفيين إلى كتابة التاريخ أو ما يطلق عليه صحافة التأريخ.

والتقارب ليس فقط في كتابة التاريخ، بل كذلك في استعمال نفس التقنيات، مثل التبويب والمقابلة... إلخ وتعتبر الدراسة أن ممارسة المؤرخين للصحافة مهمة جدًّا، فلا ينبغي أن يبقى المؤرخ حبيس مكتبه وإنتاجاته حبيسة الرفوف. وعليه أن يشارك في النقاش العام وإبداء رأيه، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا عن طريق الصحافة.

يلاحظ الباحث أن الدراسات السابقة كلها تناولت العلاقة بين العلوم الاجتماعية والصحافة من جانب نظري فقط. أي إنها لم تقم بدراسة حالات معينة لباحثين في العلوم الاجتماعية. كذلك لاحظ الباحث غيابًا شبه كلي لدراسات تتناول الظاهرة في العالم العربي. وعليه، فإن هذه الدراسة لا تقتصر على الجانب النظري، بل تدرس تجارب صحفية لباحثين في العلوم الاجتماعية في سياق معين، وهو تونس ما بعد ثورة 2011 إلى حدود عام 2020، وكذلك تسعى لإثراء البحوث العربية في هذا المجال.

[9] محمد اليوسفي، في تقاطعات الصحافة وتاريخ الزمن الراهن: نحو مقاربة تأويلية جديدة، (الجامعة الصيفية لمعهد الدوحة للدراسات العليا، تونس، 2017).

2. نتائج الدراسة التطبيقية

1.2 طرق واستراتيجيات ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة.

عملية إنتاج عمل صحفي ليست بالعمل السهل والبسيط، بل تُعد عملية مركبة تتطلب معارف ومهارات معينة، خاصة منها المعارف التقنية التي تسمح بإنتاج مادة صحفية يمكن للمتلقي فهمها واستيعابها، وفي مرحلة متقدمة يمكن أن تسهم في النقاش العام أو تخلقه. ولئن كان العمل في الصحافة، أو إنتاج مواد صحفية، لا يشترط الحصول على شهادة جامعية في المجال، فإنه يشترط الإلمام بهذه المهارات التقنية وحسن استعمالها. فمهنة الصحافة تظل مهنة مفتوحة، خلافًا لمهن المحاماة والطب مثلًا التي تتطلب شهادة جامعية في المجال. وبذلك من السهل أن نلاحظ أن العديد من الصحفيين والمتعاونين والكتاب المستقلين لهم إنتاج صحفي دوري وهم ينتمون إلى اختصاصات أكاديمية أخرى غير الصحافة. ولإنتاج مادة صحفية مختلفة ذات جودة، يجب المزج بين المعارف التقنية ومهارات أخرى، مثل المعارف في العلوم الصحيحة أو الاجتماعية والإنسانية، أو معارف في العلوم الاقتصادية أو القانونية والسياسية، ومهارات تحليلية...إلخ.

وينطبق ذلك على الإنتاجات الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية، حيث يتطلب الأمر تحضيرًا جيدًا يجمع بين ما هو تقني، وما هو معرفي وعلمي. وذلك لاعتبارين، الأول هو أن الكتابة العلمية مختلفة تمامًا عن الكتابة الصحفية. فالأولى تتميز بتخصص لغتها وحقلها المعجمي ولجوئها مباشرة إلى المعلومة، علاوة على احتواء المنتج الأكاديمي، مقالًا علميًّا أو كتابًا، على جزء نظري يحتوي على تعريف للمصطلحات، والمنهج.. إلخ. فيما تعتمد الثانية السردَ الكثيف ونقل الأحداث. وكذلك عدد الكلمات يكون أقل من نظيره في المقال العلمي، هذا إضافة إلى الفرق في الجمهور الذي سيوجه إليه هذا المنتوج، فالمقالات والكتب العلمية تكون موجهة أساسًا إلى الجمهور الأكاديمي وأفراد المجتمع البحثي عمومًا. أما الكتابة الصحفية فتكون موجهة للقارئ العادي على اختلاف انتماءاته.

علاوة على ذلك، فإن المنتوج الصحفي لا ينحصر في المقالات المنشورة في الصحف الورقية والإلكترونية، بل يتسع ليشمل الإعلام السمعي البصري الذي يحتوي على خصوصيات تختلف عن الصحافة الورقية. ولوسائل الإعلام خصوصيتها وانتشارها الجماهيري الواسع، وهو أمر غير موجود في الحقل الأكاديمي ومختلف تمامًا عن خصوصيات بعض الإنتاجات البحثية التي تكون في شكل محاضرات ومشاركات في المؤتمرات العلمية.

وعليه، فإن الباحث في العلوم الاجتماعية يقوم بإعداد منتوجه الصحفي بطريقة خاصة، تختلف عن مثيلتها التي ينتهجها الصحفيون العاديون. وتختلف كيفية التحضير عند الباحثين في العلوم الاجتماعية بحسب نوع وسيلة الإعلام (وسيلة إعلام ورقية أو إلكترونية، ووسيلة إعلام سمعية بصرية) أولًا باعتبار أن لكل واحدة خصوصيتها، وثانيًا بالنظر لاستعدادات الباحثين في العلوم الاجتماعية للتعامل مع نوع من هذه الوسائل دون غيره.

أولًا: وسائل الإعلام الورقية والإلكترونية

تكون إسهامات الباحثين في العلوم الاجتماعية في وسائل الإعلام الورقية والإلكترونية عبر شكلين رئيسيين: الأول، ويشمل مساهمات في مقالات أعدَّها صحفيون يستأنسون برأي الباحث في العلوم الاجتماعية للتعليق على حدث أو ظاهرة اجتماعية أو قضية سياسية...إلخ وتكون المساهمة في شكل مداخلة، أو حوار مع باحث في العلوم الاجتماعية، وتنشر عادة بعد نقاش عام أُثِير في المجتمع وللباحث رأي مهم فيه، أو شارك من خلال مداخلاته في وسائل إعلام أخرى، أو تصريحاته وحتى كتاباته على وسائل التواصل الاجتماعي، في خلق هذا النقاش العام، أو في حال انتشار ظاهرة اجتماعية في المجتمع سبق للباحث أن اشتغل عليها.

أما الشكل الثاني من المساهمة الصحفية فهو كتابات الباحثين في العلوم الاجتماعية أنفسهم.

ونقصد هنا المقالات التي يكتبها الباحثون وتُنشر في صحف ورقية أو مواقع إلكترونية، وتكون أساسًا للتعليق وتحليل ظواهر اجتماعية وأحداث سياسية وقضايا تتفاعل في المجتمع. هذان الشكلان من الإسهامات الصحفية يفرضان على الباحث في العلوم الاجتماعية تحضيرًا متشابهًا وإن اختلفا في عدد من النقاط. في الشكل الأول يكون الباحث على علم مسبق بالموضوع، وذلك يساعده في الرجوع والبحث في المصادر وبلورة أفكاره حول أبعاده. إضافة إلى ذلك فإن الباحث يكون في عملية أخذ ورد مع الصحفي، ويمكن أن يعلمه بعدم اختصاصه في المجال إن حاد الصحفي عن الموضوع المتفق عليه، ويمكنه أن يرفض الإجابة عن بعض الأسئلة التي يرى أنها غير مناسبة.

وفي الشكل الثاني، يكون الباحث هو الصحفي، حيث يختار موضوع المقال، وفي بعض الأحيان تطلب منه المؤسسة الإعلامية الكتابة في موضوع معين. وتقتضي هذه النوعية من المقالات طريقة تحضير خاصة، فهي تحتوي على عمق وبعد تحليلي مهم يتطلب مهارات خاصة، مثل القدرة على التحليل، ووضع الظواهر الاجتماعية في سياقها، واستعمال أدوات تحليلية... إلخ. ويجب معرفة استعمال هاته المهارات من قبل الباحث في العلوم الاجتماعية استعمالًا جيدًا. ويتفق جميع أفراد عينة الدراسة على أهمية استعمال الباحث في العلوم الاجتماعية الممارس للصحافة لهذه المهارات المتأتية أساسًا من التعليم الأكاديمي للباحث في العلوم الاجتماعية. وفي هذا الإطار يبيِّن ياسين النابلي، الباحث في الحضارة العربية والصحفي في موقع المفكرة القانونية، أن الجانب البحثي والتحليلي للصحفي الباحث في العلوم الاجتماعية مهم جدًّا. ويضيف في مقابلته مع الباحث: "في التحضير للمقال وكتابته تحضر شخصية الباحث، فهو لا يقبل تأسيس فكرة بدون روافد، بل يستند إلى مراجع ومصادر، وحتى عندما يعرض أفكاره فهو يربط ذلك بالأفكار السابقة، وهو ما يفسر وجود عدد من المراجع والمصادر في المقالات الصحفية التي أكتبها"[10].

إن عملية الكتابة هنا ليست صحفية خالصة وليست أكاديمية، بل هي كتابة ذات خلفية تحليلية مستمدة من العلوم الاجتماعية، كل حسب اختصاصه (تاريخ، حضارة، علم اجتماع...إلخ)، وتنشر على محمل صحفي[11].

وتتطلب كتابة المقال العودة إلى المصادر، والنظريات المعرفية في العلوم الاجتماعية، والعمل على ترجمة الفكرة إلى نص يكون قابلًا للنشر على محمل صحفي. ويسعى الباحث في العلوم الاجتماعية إلى أن يكون نصه مستندًا إلى معطيات علمية وبعيدًا عن السطحية والانطباعية كما أبرز الأكاديمي مهدي مبروك[12]، وهو ما يميزه عن الصحفي العادي. ويؤكد هذا الفرضية التي ذهب إليها الباحث بأن المساهمة الصحفية لدى الباحث في العلوم الاجتماعية مهما كان نوعها، تسبقها عدة تحضيرات، مثل الرؤية المنهجية، والبحث عن المصادر والمراجع... لتقديم صحافة مختلفة وذات جودة نوعية.

إذًا، تكون مساهمة الباحث في العلوم الاجتماعية في الصحافة المكتوبة مؤطرة بمجموعة من القواعد والمعايير التي يلتزم بها، مثل الرجوع إلى المصادر وتأسيس فكرة تكون استمرارًا لأفكار سابقة، والسعي إلى الحفاظ على الخلفية العلمية، والتمايز من خلال تجنب السطحية والانطباعية والحفاظ على الإضافة العلمية.

ثانيًا: وسائل الإعلام السمعية البصرية

يعتبر تعامل الباحثين في العلوم الاجتماعية مع وسائل الإعلام السمعية البصرية إشكاليًّا، وخاصة التلفزيون. ولذلك خصه عالم الاجتماع الفرنسي، بيير بورديو، بكتاب كما أشرنا آنفًا يتناوله فيه كظاهرة اجتماعية، خاصة في علاقته بالحقل الثقافي والحقل الأكاديمي؛ إذ للإعلام السمعي البصري خصائصه، ويختلف كثيرًا عن الصحافة المكتوبة. فهو أكثر انتشارًا وجماهيرية، فالصحافة الورقية تعتبر نخبوية وجمهورها محدود، وكذلك الإلكترونية.

[10] ياسين النابلي، باحث في الحضارة العربية وصحفي بموقع المفكرة القانونية، مقابلة مع الباحث، 21 فبراير/شباط 2022، تونس.
[11] محمد الجويلي، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية، مقابلة مع الباحث عبر الهاتف، 26 فبراير/شباط 2022، تونس.
[12] مهدي مبروك، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية، مقابلة مع الباحث، 24 فبراير/شباط 2022، تونس.

فعلى القارئ والمستخدم أن يتوجه إلى الصحيفة أو الموقع الإلكتروني لقراءة المقالات، أما الإعلام السمعي البصري فيفرض نفسه على المتلقي، حيث نجد الراديو والتلفزيون في كل مكان تقريبًا، ويجد المشاهد أو المستمع نفسه بصدد استهلاك المواد التي تبثها الوسائل السمعية البصرية حتى وإن لم يختر ذلك.

وهذا الانتشار يجعل لوسائل الإعلام السمعية البصرية تأثيرًا كبيرًا على المستهلكين، وفي الرأي العام، وكذلك في النقاش العام الذي يرتبط بالقضايا المجتمعية المطروحة، سواء كانت سياسية، أو ثقافية، أو اجتماعية...إلخ. لذلك تشكّل هذه الوسائل قبلة للصحفيين، والمحللين، والباحثين في العلوم الاجتماعية، الذين يبحثون عن التعبير عن آرائهم وإبراز تحليلاتهم وإيصالها لأكبر عدد ممكن من الجمهور. ويحقق هذا الانتشار شهرة للناس الذين يشاركون بصفة متواترة في برامج تليفزيونية أو إذاعية، وهو ما يدفع بعضهم للمشاركة الدورية، أو السقوط في المشاركة من أجل المشاركة حتى وإن لم يقدم ذلك إضافة تذكر.

وعلى عكس الصحافة المكتوبة، ففي وسائل الإعلام السمعية البصرية يتحكم المذيع أو المنشط في سير البرنامج أو الحلقة، ويحدد المواضيع التي ستطرح، والوقت المخصص لكل متدخل، والأسئلة، وقطع الكلمة عن المتدخل، وطرح أسئلة باسم الجمهور... إلخ. وهذا يختلف عن كتابة المقالات، حيث يختار الباحث الموضوع الذي يتناوله، وزاوية التناول، وعدد الكلمات، والعنوان، والمراجع، ولغة الكتابة...إلخ. وبذلك يكون هناك اختلاف كبير بشأن من يسيطر على مجريات المداخلة الصحفية، ففي الإعلام السمعي البصري يكون الباحث في العلوم الاجتماعية ضيفًا عليه أن ينضبط للقواعد. أما في الصحافة المكتوبة فهو المشرف على إنتاجه الصحفي.

وفي العينة المدروسة من الباحثين في العلوم الاجتماعية والممارسين للصحافة في تونس، هناك ثلاثة أنواع من التعامل مع وسائل الإعلام السمعية البصرية، وتفترض كل واحدة منها تحضيرًا خاصًّا.

- النوع الأول هم الذين يشتغلون في وسائل إعلام سمعية بصرية. وفي عينة هذا البحث هو منشط ومعد برنامج سياسي يومي بعنوان "هنا تونس" في المحطة الإذاعية "ديوان إف إم". ويقوم الباحث بالرجوع إلى المصادر حول المواضيع التي سيتناولها، ويضعها في سياقاتها ويبحث تأثيراتها على المجتمع والسلطة، وخاصة إصدارات ضيوفه من مذكرات وبيانات، وما كتب حولها في مراحل مختلفة في المصادر الصحفية والأكاديمية، لا سيما كتب التاريخ، ليبلور الخطوط العامة التي ستحدد سير حلقته، والأسئلة التي ستقود النقاش. في هذه الحالة فالباحث، وهو ذاته المنشط ومعد البرنامج الإذاعي، من يقود النقاش ويسعى إلى توظيف معارفه الأكاديمية لتقديم مادة صحفية عميقة ومختلفة عن البرامج الأخرى المماثلة.

- النوع الثاني هم باحثون في العلوم الاجتماعية توجه إليهم دعوة للمشاركة والقيام بمداخلات في وسائل إعلام سمعية بصرية بصورة متواترة. وينقسمون بدورهم إلى مجموعتين. الأولى لها مداخلات دورية تقتصر على القنوات الإذاعية. وتشير الباحثة هدى نعمان في حديثها للباحث: "عند الاتصال بي أطلب تزويدي بموضوع الحصة والضيوف المشاركين. وأبدأ في البحث في الموضوع في الكتب والمراجع والإنترنت، وبرامج سابقة تناولت القضية ثم أقوم بتبويب موضوعي من زاوية علم الاجتماع"[13].أما المجموعة الثانية فلها حضور محدود في وسائل الإعلام السمعية البصرية، التلفزيونية منها والإذاعية، ولها كتابات منتظمة لمقالات صحفية. وتتجنب هذه المجموعة الحضور في وسائل الإعلام السمعية البصرية ولا تلبي إلا القليل من الدعوات، لأن "الحضور الإعلامي لأي جامعي محفوف بالمخاطر، وهي دعوة إلى جهنم"، كما يوضح الأكاديمي مهدي مبروك، فـ"على عتبة التلفزيون كأننا على عتبة الجحيم. ففي الصحيفة أنت من يتحكم في الأمور، تختار المواضيع والكلمات، وتعيد القراءة وتقوم بالمراجعات... الأمر مختلف في التلفزيون، فكل دعوة فيها اختبار لقدراتك وكفاءتك الاتصالية وليست العلمية"[14].

[13] هدى نعمان، باحثة في علم الاجتماع، مقابلة مع الباحث، 22 فبراير/شباط 2022، تونس.
[14] مبروك، مرجع سابق.

وتتحاشى هذه المجموعة من الباحثين في العلوم الاجتماعية الظهور في وسائل الإعلام السمعية البصرية، ولا تلبي الدعوة إلا بعد القيام بعملية تفاوض بينها وبين فريق إعداد البرنامج، وبينهم وبين أنفسهم. وفي إطار تحضيرهم لمشاركة من هذا النوع يقوم الباحثون بطرح مجموعة من الأسئلة: "علي أن أفاوض نفسي: ما الذي يدفعني للمشاركة؟ هل هو البروز؟ حتى لا ينساني الرأي العام؟ لكن أحيانًا هذا البروز والظهور يكون مزعجًا...". بناء على ذلك يحدد الباحث هل سيشارك في البرنامج أم لا؟ ويتقاطع هذا مع الفرضية التي طرحها الباحث بشأن الجهود التي يبذلها الأكاديمي للحفاظ على خصوصيات الشخصية البحثية الأكاديمية في مقابل إكراهات العمل الصحفي. ويرفض الباحثون المشاركة في هذه الوسائل؛ إذ في غالب الأمر تتم دعوتهم للحديث في مواضيع خارج اختصاصهم، وتكون الدعوة من فريق الإعداد على قاعدة أنهم باحثون معروفون في الحقل الأكاديمي وفي الحقل الصحفي، لكن لا يعرف هؤلاء الصحفيون مجالات اختصاص هؤلاء الباحثين وغالبًا لم يطلعوا على إنتاجاتهم البحثية. وتعتبر آليات عمل البرامج السمعية البصرية حاجزًا أمام ما يسعى الباحث في العلوم الاجتماعية لقوله. فهو هنا ضيف وليس سيدًا على إنتاجه الصحفي مثل ما يحدث في كتابة المقال، ويكون مقيدًا بوقت معين يمكن ألا يكون كافيًا للتعبير عن فكرته. والانتشار الجماهيري لوسائل الإعلام السمعية البصرية، يجعله في حالة انتقاء لأفكاره ومفرداته ما يسقطه في كثير من الأحيان في الرقابة الذاتية وانتهاك الحقيقة العلمية التي يؤمن بها[15].

- أما النوع الثالث والأخير، فهم باحثون في العلوم الاجتماعية ليس لهم أي حضور في وسائل الإعلام السمعية البصرية، ويكون ذلك في أغلب الأحيان لغياب الدعوات للمشاركة فيها.

تتطلب عملية إنتاج باحث في العلوم الاجتماعية لمنتوج صحفي جهدًا مضاعفًا. فيعود إلى المصادر والمراجع، ويبوب الموضوع ويضعه في سياقه، إضافة إلى سعيه المستمر للمحافظة على بصمته كباحث وألا يسقط في الاستسهال وتكرار البديهيات.

لكن يختلف الأمر حسب نوع وسيلة الإعلام والجنس الصحفي. ونجد أن معظم الباحثين في العلوم الاجتماعية في تونس يميلون أكثر إلى كتابة المقالات لما تسمح به من هامش حرية أكبر يمكنهم من التعبير عن آرائهم وتقديم تحليلاتهم، خلافًا لوسائل الإعلام السمعية البصرية التي يتحاشاها الباحثون في معظم الأحيان.

2.2 الموازنة بين الكتابة الصحفية والكتابة العلمية

يختلف جمهور وسائل الإعلام عن جمهور البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. فالأول متنوع من مشارب وانتماءات مختلفة: ثقافية، وطبقية، وعرقية، وسياسية وأيديولوجية، وجهوية، وعمرية...إلخ. لكن الأهم هو المستويات التعليمية المختلفة: أمّي، مستوى تعليمي إعدادي أو ثانوي، أو جامعي...إلخ.

أما جمهور البحث العلمي فيتشكَّل أساسًا من الطلبة والباحثين الجامعيين...إلخ، ويتعاملون معه على قاعدة أنه منتوج بحثي أكاديمي علمي، يتم نقده وتطويره على هذا الأساس، أي بعيدًا عن الانطباعية والمواقف الأيديولوجية. ويفرض تنوع الجمهور على الباحثين في العلوم الاجتماعية البحث عن طريقة للموازنة بين نوعي الكتابة، أي طريقة يجمع بها الباحث بين العمق التحليلي ذو المرجعية العلمية، والكتابة الصحفية، أو المداخلات الإعلامية التي يفترض أن تكون سلسة، ومستساغة وبسيطة يمكن للجمهور العريض فهمها. وفي هذا الإطار يوضح الأكاديمي محمد الجويلي "أن كل كتابة لها نواميسها ولها خصوصياتها وتقاليدها. ولكن في نفس الوقت هناك علاقة لكتابة مقال صحفي بمسحة سوسيولوجية، لا بد أن تأخذ في عين الاعتبار أن القارئ هو القارئ العام، ليس القارئ الأكاديمي المهتم. كما أن الكتابة الصحفية فيها تركيز على الأسلوب، وتقدم الفكرة بشكل سريع دون الغوص في النظريات... وتثير بها اهتمام الناس، وتكون تعبيرًا عن فكرة"[16]. ويحاول الباحث في العلوم الاجتماعية والممارس للصحافة في تونس أن يجد طريقة لهذه الموازنات بين الجنسين، الأكاديمي والصحافي، وإن كانت الكتابة الأكاديمية والكتابة الصحفية تختلفان من باحث لآخر، فإنهما تشتركان في الخطوط الكبرى.

[15] مبروك، مرجع سابق.
[16] الجويلي، مرجع سابق.

أولًا في الرجوع إلى المصادر والبحث فيها، واستعمال أطر ونظريات في تحليل الظواهر التي يشتغلون عليها، سواء في المقال أو في المداخلات المكتوبة والسمعية البصرية. فالانطلاق لا يكون فقط من وقائع كما يفعل الصحفي العادي، بل إضافة إلى ذلك يكون هناك جانب نظري. لكن هذا الجانب لا يكون موجودًا في المنتوج الصحفي النهائي لعدم تماشيه مع مستلزمات الكتابة الصحفية، ولما فيه من صعوبات على المتلقي العادي. فيسعى الباحث إلى تبسيط هذا الجانب والمصطلحات العلمية كي تصبح مستساغة. ويمر الباحث، الذي هو بصدد كتابة مقال، إلى تحديد عدد الكلمات تماشيًا مع الموضوع، وطبيعة وسيلة الإعلام والجمهور. ففي المقالات العلمية المحكمة يصل عدد الكلمات إلى 7000 كلمة وأكثر، أما في المقالات الصحفية فيكون العدد أقل بكثير. فالتبسيط مسألة مهمة جدًّا في العمل الصحفي للباحث في العلوم الاجتماعية، ويكون كذلك عبر الاستعانة بالاستعارة وبالأمثلة. ويضيف الجويلي: "كتابتي ليست صحفية بالمعنى المتداول، هي كتابة في الصحافة. ما أقدمه هو مقال رأي في صحيفة مرتبط بالشأن العام فيه خلفية سوسيولوجية، حيث أكتب بلغة سوسيولوجية، لكنها مفهومة وغير معقدة يفهمها الجميع. فحين أكتب أفكر بشكل عام في القارئ الذي ليس بالضرورة سوسيولوجيًّا"[17].

بعد التحضير الجيد الذي يغلب عليه طابع البحث الأكاديمي، يمر الباحث في العلوم الاجتماعية إلى التركيز على عمليات الكتابة أو المداخلات الإعلامية. وهنا يركز كثيرًا، إضافة إلى تحليل الظاهرة والتمايز كباحث في العلوم الاجتماعية، على التبسيط وعدم التعقيد وتقديم خطاب مستساغ يتسم بخلفية وتحليل علمي، ويكون بعيدًا عن إعادة إنتاج الأفكار والتحاليل العامة.

3.2 دوافع الممارسة الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية

من المهم محاولة فهم ما الذي يدفع شخصًا، أو مجموعة من الأشخاص، إلى الذهاب لاختصاص آخر بعيدًا عن اختصاصهم، لممارسة بعض الأنشطة فيه. في حالة هذا البحث فإن الحالة المعنية بالدراسة كانت الباحثين في العلوم الاجتماعية الذين لهم أنشطة صحفية مختلفة في سياق معين، وهو تونس ما بعد ثورة يناير 2011. إن النشاط الرئيسي لهؤلاء الباحثين هو البحث العلمي في أروقة الجامعات، من خلال إنتاجات بحثية علمية، مثل المقالات المحكمة والكتب والدراسات والمحاضرات...إلخ. لكن بموازاة ذلك لهم أنشطة أخرى في حقل آخر هو الحقل الصحفي من خلال مقالات صحفية ومشاركات في إنتاجات صحفية مكتوبة أو سمعية بصرية، وذلك في سياق يتميز بتغيرات متسارعة للأحداث السياسية والاجتماعية في تونس ما بعد ثورة 2011. فما هي دوافع ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية في تونس للصحافة في سياق ما بعد الثورة (2011-2020)؟

يقدم الأكاديمي مهدي مبروك جملة من الأسباب التي تدفع الباحث للانخراط في الممارسة الصحفية والكتابة عمومًا فـ"هذه مهنتك، مهنتك أن تكتب... بمعنى أن تكون مؤرخًا أو فيلسوفًا أو عالم اجتماع، أن تكتب مقالات علمية مستوفية للشروط. ولكن هناك قضايا في الشأن العام، هناك اعتقالات بين الحين والآخر، تضييق على الحريات... هذه القضايا لا تتسع لها المقالات العلمية... هناك قضايا راهنة، وعابرة، مستجدة بين الحين والآخر، فيها الكثير من الذاتية، فيها الكثير من الالتزام الوطني، فهذه لا تتسع لها الكتابة العلمية"[18].

هنا، يجد الباحث في العلوم الاجتماعية نفسه أمام إلزامية البحث عن منابر أخرى للكتابة فيها أمام الحدود التي تفرضها الكتابة العلمية بمعاييرها الصارمة، وعدم اتساعها لعدد من القضايا إلا في حالات معينة. كما يجد الباحث في العلوم الاجتماعية نفسه، خاصة في السياق التونسي المعاصر والآني، أمام إلزامية تقديم رأيه في الأحداث التي تشهدها البلاد، وما يرتبط بها من تغيرات اجتماعية، وثقافية، وسياسية، وتاريخية، وحضارية...إلخ. وينطلق الباحثون أعضاء العينة المدروسة من منظور إلزامية المشاركة في النقاش العام باعتبار أن هذا دورهم إلى جانب دورهم الأكاديمي البحثي.

[17] الجويلي، مرجع سابق.
[18] مبروك، مرجع سابق.

وبالنسبة للباحث في علم الاجتماع هناك طريقتان للنشر، كما يشير الأكاديمي الجويلي، الأولى من خلال الكتب والمقالات المحكمة، أي النشر العلمي الأكاديمي الذي يخضع لدراسة مطولة بمراجع، وفرضيات عمل...إلخ، أي ما تستلزمه الكتابة الأكاديمية العلمية. والثانية هي المشاركة في الشأن العام، والصحافة هي جزء من الفضاء العام الذي تعرض وتناقش فيه الأفكار[19]. وقد أضحى الدافع الأساسي لممارسة الصحافة من قبل عدد من الباحثين في العلوم الاجتماعية هو إبداء الرأي حول القضايا التي تطرح في الفضاء العام، والمرتبطة أساسًا بالظواهر والأحداث السياسية والاجتماعية، بخلفية علمية بحثية للمشاركة وإثراء النقاش العام. وتعتبر الصحافة إحدى أهم الوسائط للقيام بذلك، إن لم تكن أهمها. وبذلك لا يكون الباحث حبيس أروقة الجامعات ولا يبقى إنتاجه مقتصرًا على الأعمال الأكاديمية التي لا تصل إلى أكبر عدد ممكن من القراء، وينحصر استهلاكها لدى الجمهور الأكاديمي. بل يصبح فاعلًا في النقاش العام في القضايا العامة[20].

ولا تعتبر المشاركة في النقاش العام، لإبداء الرأي في القضايا الراهنة، الدافع الوحيد وراء ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة في تونس، بل يسعى بعض الباحثين إلى تسريب قضايا اشتغلوا عليها في الجامعات في بحوث أكاديمية، إلى النقاش العام[21]. وهذا ما من شأنه أن يجسر العلاقة بين الجامعة ومحيطها. بينما يربط باحثين آخرون دوافع ممارسة الصحافة بما هو تقني أساسًا، أي التغيير في جانب من الجوانب التقنية للصحافة، وذلك تأثرًا بالمرجعية الأكاديمية التي لديه، وهو ما أبرزه الباحث ياسين النابلي: "أسعى إلى تأسيس لغة صحفية جديدة، تتميز عن اللغة الصحفية التي سادت طيلة 50 سنة. أكثر شكل لغوي مغرٍ بالنسبة لي، هو اللغة السهلة والمكثفة في نفس الوقت. تعطي المعنى في جملة واحدة وفي نفس الوقت تكون مفهومة"[22].

تختلف دوافع ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة في تونس ما بعد الثورة. وتتوزع بين الدوافع العامة التي يشترك فيها جل الباحثين، وهي هنا أساسًا المشاركة في النقاش العام من خلال إبداء الرأي في القضايا الراهنة، ودوافع خاصة مثل محاولة إقامة علاقة بين الجامعي والصحفي بتسريب قضايا أكاديمية إلى النقاش العام من خلال الصحافة، أو الاشتغال على جانب تقني بعينه، مثل اللغة. بذلك يمكن أن نفهم أن الصحافة تُعد أساسًا وسيلة للباحثين في العلوم الاجتماعية تمكنهم من تقديم آرائهم والمشاركة في النقاش العام باعتبارها جزءًا من الفضاء العام.

4.2 الممارسة الصحفية قاطرة علاقة بين الحقلين

ما يميز ممارسة الصحافة من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية أنها تربط بين ممارسة في اختصاص أو في حقل معين، وهو الصحافة، وبين حقل واختصاص آخر هو الحقل الأكاديمي. وبذلك ترسم علاقة بين الحقلين قوامها هذا الفعل، وهو ممارسة الصحافة من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية. هذا إلى جانب روابط أخرى مثل تناول العلوم الاجتماعية للصحافة بالدرس، وتناول الصحافة لإنتاجات حقل البحث الأكاديمي في العلوم الاجتماعية...إلخ. إذًا العلاقة بين الحقلين قائمة، فما هي مقوماتها من زاوية الممارسة الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية؟

يستعين الباحثون في العلوم الاجتماعية الذين يمارسون الصحافة بزادهم المعرفي والفكري وبعدتهم التقنية وخلفياتهم المستمدة من تجاربهم ومسارهم الأكاديمي، الأمر الذي سيكون له تأثير على الإنتاج الصحفي الذي يقومون به أو يشاركون فيه. إذًا، فهذه الممارسات تؤثر على الصحافة بطرق مختلفة. فتنتج لنا مواد صحفية تتطرق إلى مواضيع جديدة بزوايا مختلفة عن تلك التي تكون لدى الصحفيين العاديين. فالباحث يتسلح بزاده المعرفي، وخاصة الملكات التحليلية، لينتج عملًا صحفيًّا مغايرًا. صحيح أن حقل البحث العلمي مستقل بذاته وله مقوماته وخصوصياته وآليات اشتغاله الداخلية، وكذلك الحقل الصحفي، إلا أن علاقة تبنى بينهما تسهم في خلق منطقة تقاطع بين الاختصاصين، مع محافظة كل حقل على خصوصياته. وهو ما خلص إليه الباحث محمد اليوسفي: "الباحث لديه منهجية وبيبليوغرافيا، وضوابط تتعلق باختصاص بعينه. والصحفي لديه أشكال صحفية يشتغل عليها، وأخلاقيات وضوابط مهنية. جميعها تختلف لكن تتقاطع"[23].

[19] الجويلي، مرجع سابق.
[20] محمد اليوسفي، باحث في التاريخ ورئيس تحرير موقع الكتيبة ومعد ومقدم برنامج «هنا تونس» بإذاعة ديوان إف إم، مقابلة مع الباحث، 8 مارس/آذار 2022, تونس.
[21] مبروك، مرجع سابق.
[22] النابلي، مرجع سابق.
[23] اليوسفي، مرجع سابق.

هذا التأثير لا يكون على الصحافة فقط، بل يشمل البحث العلمي. فممارسة الصحافة من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية يؤثر على طريقة بحثهم، وتناولهم للمواضيع البحثية. وفي "الحقيقة الصحافي أثر في الباحث ولم يؤثر الباحث في الصحافة"، يؤكد اليوسفي. و"صحيح أن شخصية الباحث، بمعنى لغته ومعجمه، تؤثر في كتابة المقال.

لكن حتى في تجربة الدكتوراه لاحظ الأساتذة أنني أكتب بطريقة سهلة ومكثفة، وهو الأسلوب الصحفي. فهناك عدد من العناوين التي كتبتها في أطروحة الدكتوراه كانت صحفية، عندما قمت بعمليات الوصف كان بأسلوب صحفي، لأن الصحافة تعلمك سرد الوقائع بأقل الجمل وبشكل مكثف. يمكن القول: إن تجربتي الصحفية أضافت للبحث[24]".

إذن، هناك علاقة بين الحقلين، رغم محافظة كل منهما على استقلاليته وخصوصيته، حيث يؤثر البحث في نوعية العمل الصحفي المنجز وفي طريقة إنجازه. وكذلك تؤثر الصحافة في تقنيات الكتابة وتناول الموضوع البحثي لدى الباحث في العلوم الاجتماعية. وعليه، يمكن القول: إن هناك عملية تأثير وتأثر تحكم الجانبين، وتقوم على الإثراء وأن يطور كل منهما في الآخر.

وفي العينة المدروسة لم ينتبه المشاركون إلى مسألة العلاقة بين الحقلين، إلا الذين يشتغلون بصفة قارة في الصحافة. أما البقية فلم يعيروا للأمر اهتمامًا. وهذا ما يجعلنا أمام فرضية أن الباحثين في العلوم الاجتماعية والذين لا تعتبر الصحافة نشاطهم الأساسي، ينظرون إليها على قاعدة أنها عمل فقط للتعبير عن الرأي وليست جزءًا من نشاطهم البحثي.

أما الباحثون في العلوم الاجتماعية الذين تعتبر الصحافة نشاطهم الأساسي، فيعتبرونها مشروعًا حياتيًّا لا يقتصر على ممارسته بشكل كلاسيكي، بل يجب تطويره من خلال انفتاحه على الحقل البحثي الأكاديمي في العلوم الاجتماعية، وتأثير كل منهما على الآخر.

5.2 رؤساء التحرير: حلقة رئيسة في سلسلة المورثات الصحفية للباحثين في العلوم الاجتماعية

عملية إنتاج عمل صحفي هي عملية مركبة؛ إذ تمر بمستويات عدة، من البحث عن فكرة وتطويرها وتحريرها وصولًا إلى نشرها، كما يتداخل فيها عدد من الأطراف. ومن أبرز هذه الأطراف التي لها شأن مهم في عملية إنتاج عمل صحفي، هو رئاسة التحرير.

ولرئيس التحرير دور مهم في اختيار وتحديد السياسة التحريرية لوسيلة إعلام معينة وتوجهاتها، وحتى في اختيار الكتاب والمتعاونين مع الصحيفة أو وسيلة الإعلام السمعية البصرية. وفي معظم وسائل الإعلام في تونس، ورقية كانت أو إلكترونية، أو سمعية بصرية، نشهد مساهمات مختلفة ومتفاوتة، حسب طبيعة الوسيلة الإعلامية، لباحثين في العلوم الاجتماعية. ويدل ذلك على أن هناك توجهًا لتلك الوسيلة نحو العمل مع باحث في العلوم الاجتماعية.

ومن المؤكد أن لرؤساء التحرير دورا مهما في هذا الاختيار. فما الذي يدفع رؤساء تحرير بعض وسائل الإعلام، ومن ورائهم وسائل الإعلام التي تشغلهم، إلى التعويل على الباحثين في العلوم الاجتماعية لإنتاج المشاركات في إنتاج محتوى لمؤسساتهم؟

تختلف غايات رؤساء التحرير في اختيار الباحثين في العلوم الاجتماعية لإنتاج محتوى صحفي، أو لإعطائهم حيزًا لممارسة الصحافة، باختلاف وسائل الإعلام التي يسيرونها وتوجهاتها. فيقتصر بعضها على مداخلات لإثراء منتج صحفي معين برأي مختص أكاديمي، بينما تخصص أخرى فضاء كاملًا عبر برنامج تليفزيوني أو إذاعي، أو ركن قار في صحيفة ورقية أو إلكترونية، يكون فضاء حرًّا يقدم فيه الباحث في العلوم الاجتماعية إنتاجه الصحفي. ويبحث رؤساء التحرير عن مساهمة الباحثين في العلوم الاجتماعية في وسائل الإعلام التي يسيرونها لأسباب عديدة. أهمها البحث عن الإضافة التي يقدمها الباحث في إنتاجه الصحفي، أي البعد التحليلي والعمق في تناول الظاهرة المدرسة.

[24] النابلي، مرجع سابق.

وهـذا مـا أشـار إليـه رئيـس تحريـر موقـع المفكـرة القانونيـة، محمـد سـميح الباجـي عـكاز، فـي مقابلتـه مـع الباحـث، حيـث أكـد أن "المضمـون الـذي يقدمـه الباحـث يعجـز الصحفـي المتخـرج مـن معهـد الصحافـة عـن تقديمـه، فهـو يتميـز بالعمـق، والرجـوع إلـى المصـادر، بمعنـى النفـس البحثـي فـي المقـال.

إن الشـكل الصحفـي الـذي سيأخذه المقـال وإصـلاح المقال تقنيًّـا ليـس مهمًّـا بالنسـبة لـي بقـدر أهميـة المضمـون، والطـرح الـذي سيُنشـر فـي المـادة، وهـو مـا يدفعنـي للبحـث عـن باحثيـن للمسـاهمة معنـا. وأعتبـر أن التجربـة كانـت ناجحـة"[25].

إن مسـاهمة الباحـث بهـذا المعنـى تضيـف إلـى المحتـوى الـذي تنشـره وسـيلة الإعـلام، وهـذا مـا يبحـث عنـه رئيس تحريرهـا. "أعتبـر أن مـن يمتلـك تكوينًـا آخـر تكميليًّـا علـى الصحافـة يقـدم لـه إضافـة.

بمعنـى أنـه لا يمكننـا القيـام بتحقيـق أو تقريـر إخبـاري دون أن تكـون عنـدك خلفيـة تاريخيـة. ولا يمكنـك الاشـتغال علـى موضـوع اجتماعـي أو اقتصـادي، دون أن يكـون عنـدك خلفيـة سوسـيولوجية أو اقتصاديـة. وبالتالـي التكويـن المـزدوج بالنسـبة للصحافييـن هـو نقطـة قـوة وإضافـة نوعيـة لقطـاع الإعـلام"[26].

ويؤكـد هـذا الفرضيـة التـي انطلـق منهـا البحـث حـول القيمـة المضافـة للباحثيـن فـي العلـوم الاجتماعيـة فـي ممارسـة الصحافـة، التـي تجعلهـم محـل اسـتقطاب وسـائل الإعـلام ورؤسـاء التحريـر. وهنـا يمكـن أن نتحـدث عـن بحـث أو اهتمـام الباحثيـن فـي العلـوم الاجتماعيـة بوسـائل الإعـلام، فـي مقابـل بحـث أو اهتمـام وسـائل الإعـلام بالباحثيـن فـي العلـوم الاجتماعيـة، لتكـون هنـاك علاقـة مصالـح متبادلـة.

[25] محمد سميح الباجي عكاز، رئيس تحرير موقع المفكرة القانونية، مقابلة مع الباحث، 21 فبراير/شباط 2022، تونس
[26] اليوسفي، مرجع سابق.

الخاتمة والنقاش

شهد الحقل الإعلامي منذ ثورة يناير 2011 توافدًا متزايدًا للباحثين في العلوم الاجتماعية لممارسة الصحافة بأشكال مختلفة وعلى وسائط متنوعة، ورقية، وإلكترونية، وسمعية بصرية...إلخ. وصار الأمر ظاهرة تستحق الانتباه والدراسة. وتنوعت ممارسات الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة، بين كتابات ومساهمات في وسائل إعلام ورقية وإلكترونية، ومساهمات في وسائل إعلام سمعية بصرية. لكن التعامل مع مختلف وسائل الإعلام لم يكن بنفس الطريقة والكيفية، حيث يميل الباحثون إلى وسائل الإعلام المكتوبة، التي تمكنهم من هامش حرية أكبر في ممارسة الصحافة، خاصة وأن الباحثين في العلوم الاجتماعية تكون إنتاجاتهم تحليلية وذات عمق، وتتطلب هذا الهامش من الحرية. وهم مدفوعون للانخراط في النقاش العام من خلال مهنة الصحافة. كل ذلك رسم علاقة تأثير وتأثر بين حقلين قد يمكن أن يكونا منفصلين كليًّا، لكن رغم هذا الانفصال توجد منطقة تقاطع بينهما.

أدت هذه الظاهرة إلى بروز وازدهار أجناس صحفية جديدة. مثل صحافة العمق، والصحافة التفسيرية، والصحافة الاندماجية... وخاصة الصحافة التحليلية وصحافة الرأي، وهي أجناس صحفية تغاير السائد وتؤسس لصحافة جادة تقدم الإضافة للقارئ ولوسيلة الإعلام. ويمكن القول: إن تجربة الانتقال الديمقراطي التي عرفتها تونس خلال الفترة بين 2011 و2020، وبناء أسس دولة القانون القائمة على أنقاض الدكتاتورية، في حاجة ماسة لمثل هذا النوع من الصحافة، الذي يسمح بتقديم المواقف والتحليلات وتأسيس نقاش عام يتناول قضايا جدية بطريقة أقرب إلى العلمية منها إلى الانطباعية. وقد راكمت تونس تجربة مهمة في هذا الاتجاه، خاصة بعد 10 سنوات من الممارسة المتواصلة لهذه الظاهرة. لكن تبقى هناك عدة نقائص. فما زال خريجو العلوم الاجتماعية يشكون من نقص حاد في التعامل مع الحقل الصحفي، خاصة في جانبه التقني، مثل عدم القدرة على كتابة مقالات صحفية بعدد محدود من الكلمات، وعدم التمكن من تقنيات كتابة مقال صحفي، والتفريق بين الأجناس الصحفية، وعدم التمتع بقدرات اتصالية تتماشى مع متطلبات الظهور في وسائل الإعلام السمعية البصرية، وعدم القدرة على تقديم مداخلة مقتضبة ومتكاملة في وقت وجيز...إلخ كذلك يشكوا خريجو كليات الصحافة من قصور في تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية، وقصور في فهم العلوم الاجتماعية، وفي التحاور والتعامل مع الباحثين في العلوم الاجتماعية... إلخ.

وعلى الرغم من قدم الظاهرة نسبيًّا إلا أن عدة مشاكل ما زالت قائمة من الجانبين، وهو ما يعيق تقدمها. وهذا نتيجة لعدم وجود إرادة واضحة من الجانبين، الصحفيين والباحثين في العلوم الاجتماعية، للحديث علنًا عن هذه العلاقات بين الحقلين والاعتراف بها وتطويرها. ولا يمكن أن يبدأ ذلك إلا داخل أسوار الجامعات، وذلك بإدراج مواد ومناهج خاصة بالصحافة وعلم الأخبار في كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية، لتجاوز النقص الحاصل بين الطلبة في هذا المجال وتطوير قدراتهم الإعلامية والاتصالية. وكذلك تطوير مناهج العلوم الاجتماعية في كليات الصحافة. إضافة إلى إبرام المعاهدات المشتركة والمحاضرات والبحوث العلمية المشتركة. كما أن ممارسة الباحثين في العلوم الاجتماعية للصحافة هي نقطة إيجابية للحقلين، يجب العمل على تطويرها.

المصادر والمراجع

1. أنول باتشرجي، بحوث العلوم الاجتماعية المبادئ والمناهج والممارسات، ترجمة خالد بن ناصر الحيان، (دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2015)، ص 275.

2. عزالدين دخيل، المناهج وتقنيات البحث في علم الاجتماع، (مركز النشر الجامعي، تونس، 2009)، ص 24

3. محمد اليوسفي، في تقاطعات الصحافة وتاريخ الزمن الراهن: نحو مقاربة تأويلية جديدة، (الجامعة الصيفية لمعهد الدوحة للدراسات العليا، تونس، 2017).

4. Cyril Lemieux, Laurent Mucchielli, Erik Neveu. Le sociologue dans le champ médiatique : diffuser et déformer?. Sociologie, Presses Universitaires de France, 2010, 2 (1), pp.287-299.

5. Gary King, Robert Keohane, Sidney Verba, Designing Social Inquiry: Scientific Inference in Qualitative Research (Princeton: Princeton University Press, 1994), 45.

6. Gilles Bastin - Le journalisme et les sciences sociales. Trouble ou problème ?, Sur le journalisme - Vol 5, n°2 - 2016

7. Samuel Hayat et Anton Perdoncin, « Introduction. Médias et sciences humaines et sociales : collaborations, diffusions, nouveaux formats », Tracés. Revue de Sciences humaines [En ligne], #12 | 2012, mis en ligne le 29 octobre 2012, consulté le 09 avril 2022. URL : http://journals.openedition.org/traces/5526 ; DOI: https://doi.org/10.4000/traces.5526

8. Pierre Bourdieu, Sur la télévision suivi de l'emprise du journalisme, (RAISONS D'AGIR Edition, 1996).

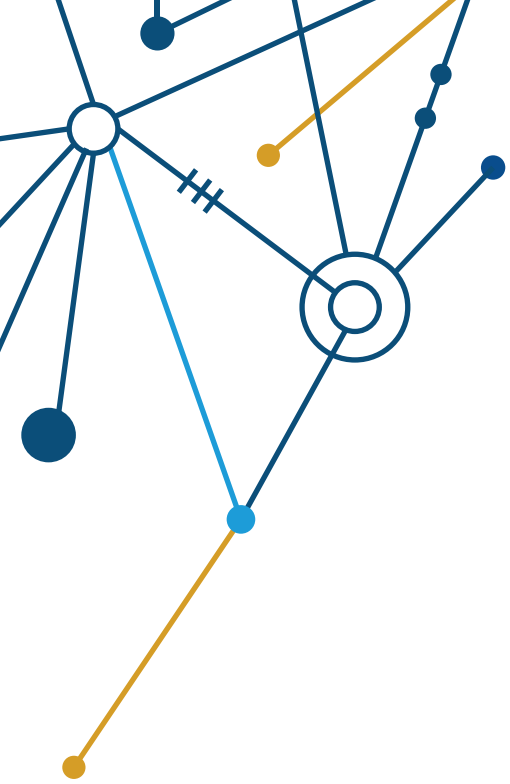

معهد
الجزيرة للإعلام

AJMInstitute

+974 44897666
institute@aljazeera.net
http://institute.aljazeera.net/